كلية العلوم الاجتماعية

السنة الأولى ل م د. وحدة مدارس و مناهج.

الدرس الثاني: المنهج في العصر الحديث(ديكارت)

تحليل النص:

تعريف صاحب النص: روينه ديكارت فيلسوف، فيزيائي و رياضي فرنسي، ولد في 1596 و توفي في1650 م يلقب بأبي الفلسفة الحديثة و كثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده هي انعكاسات لأطروحاته و التي مازالت تدرس حتى اليوم خصوصا كتاب تأملات في الفلسفة الأولى 1641م الذي مازال يشكل النص القياسي لمعظم كليات الفلسفة كما أن لديكارت تأثير واضح في علم نظام الاحداثيات الديكارتية الذي شكل النواة الأولى للهندسة التحليلية فكان بذلك من الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية و ديكارت هو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن ال 17 الميلادي كما كان ضليعا في علم الرياضيات فضلا عن الفلسفة و أسهم إسهاما كبيرا في العلوم و هو صاحب المقولة الشهيرة: أنا أفكر، إذن أنا موجود

الإطار التاريخي و الفلسفي للنص: أورث اليونان العرب طريقتهم التجريدية و نظرهم العقلي و تأملاتهم الفلسفية فأخذ العرب ذلك كله وفهموه وأضافوا اليه ما احتقره اليونان من اختبار و تجربة، هكذا كانت طبيعة المنهج العلمي عند العرب و قد تطورت صورة المنهج في عصر النهضة و السؤال المطرح هو: ماهي السمات التي انفرد بها عصر النهضة و ميزته كل التميز عن العصر الذي سبقه أي العصر الوسيط؟ و إذا لم يكن المنطق الأرسطي المنهج الموثوق به للوصول الى المعرفة فما بديله المنهجي؟ لا شك أن المنهج حين ظهر في فجر النهضة العلمية لم يكن مكتملا، خاصة إذا علما أن أروبا لم تتخلص نهائيا من بقايا مدرسيات العصور الوسطى، و لا من قياس ارسطو و منطقه الذي كان مسيطر آنذاك غير انا عوامل ظهرت استفاد منا الاوروبيون في تغير نظرتهم إلى الحياة و تفجير طاقاتهم الكامنة لقد كانت هذه الاحداث حركة نقل حاسمة شهدتها أوروبية انه عصر الاكتشافات العلمية عصر الاصلاح الديني لماتتن لوثر و نمو الدول القومية و الترجمة و توالت الكشوفات الجغرافية وكثرت النظريات العلمية و ضعفت قيمة المنطق الارسطي ورفض كمنهج ملائم لدراسة الواقع ومن ثما انطلق الفلاسفة للبحث عن منهج يتماشى مع التحولات العميقة التي شهدتها المجتمعات الأوروبية و كان من بين هؤلاء الفيلسوف الفرنسي ديكارت فما هو المنهج الجديد الذي جاء بيه ديكارت ماهي طبيعته و مصدره و الاسس التي يقوم عليها و ماهي اهميته في تأسيس المعرفة الانسانية؟

دعا ديكارت الى اتخاذ العقل وسيلة للوصول الى المعرفة لقد كان امام من أئمة الاتجاه العقلي الاستنباطي و علامة فارقة بين العصور الوسطى و العصور الحديثة ليعد ابرز من عبروا عن عدم ملائمة المنطق الارسطي لهذه الروح العلمية الجديدة في مطلق العصور الحديثة و من ثم اقترح منهج يقوم على حسن السير بالعقل و البحث عن الحقيقة في العلوم كما يدل على ذلك كتابه مقال في منهج حيث قال في بدايته الحس السليم احس الاشياء قسمت بين الناس لاتقاد كل فرد منا انه مزود به حتى ان من لا يرضيه شيء من الأشياء الاخرى لا يرغب في اكثر مما يملك و هو ما يشهد على انا القدرة على اصدار احكام سليمة موزعة بصورة عادلة بين الناس و لكن لا يكتفي اكتساب عقل السليم فان الاهم هو انا يطبقه ب احسن وجه و المنهج الذي اعتمد ديكارت على المنهج الاستنباطي الرياضي في معالجة المسائل على النحو الذي يعالج به اصحاب الهندسة مسائلهم و ليس على التجريب ، و هو مجموعة من الخطوات الواضحة الهدف من ورائها الوصول إلى تلك الحقائق اليقينية و الثابتة. يقولك المنهج هو عبارة عن قواعد مؤكدة بسيطة غذا رعاها الإنسان مراعاة دقيقة ، كان في مأمن من أن يحسب صوابا هو خطأ، من هنا كان المنهج الديكارتي هو تأكيد لرفضه للمنهج الارسطي الذي ساد طيلة قرون طويلة بعد سيادة ذلك الاعتقاد بأنه النموذج الامثل لحماية العقل و منعه من الوقوع في الزلل، ليقوم ديكارت بانتهاج منهج جديد اعتبره سبيل الوضوح و اليقين في المعارف و تحصيل الحقائق اكثر من اي منهج اخر، لهذا فهو يقوم على مجموعة من الخطوات و هي:

الأولى: قاعدة البداهة و الوضوح: تأثر ديكارت بالرياضيات يبدو جليا في هذه القاعدة، حيث نجده قد نقل قاعدة البداهة الرياضية إلى مستوى الفلسفة، لذلك نجده يقول: كنت ألتذ خاصة بالرياضيات ليقين براهينها و جلالها، و البديهيات هي قضايا واضحة بذاتها وليست بحاجة الى برهان، استنبطها ديكارت من المبادئ الرياضية فالرياضيات تعتمد على البديهيات من أجل الوصول الى الدقة و اليقين الرياضي، أما الوضوح فقد عبر عنه ديكارت بقوله: ان الأشياء التي نتذهنها بوضوح و تميز هي وحدها المقنعة تماما إذن يؤكد ديكارت أن أولى الخطوات التي يجب أن يعتمد عليها الباحث في عملية الانطلاق من أفكار بسيطة و واضحة بذاتها و التي لا تحتاج الى دليل يثبتها. مثال على ذلك الكل أكبر من الجزء. 2= 1+1، فهذه الأمور بديهية اذا تم الانطلاق منها سنصل بالتأكيد الى نتائج دقيقة و يقينية و من ثم أصر ديكارت على ضرورة التحلي بالروية و التعقل في دراسة المنطلقات الفكرية التي تبدو من الأفكار الواضحة لذلك قال: الأول أن أقبل شيئا ما على أنه حق ما لم أعرف يقينا بأنه كذلك، بمعنى أن أتجنب بعناية التهور و السبق الى الحكم قبل النظر، وبالتالي الابتعاد عن كل ما يشوش تفكيرنا و يوقعه في الاخطاء و من ثم إزالة من أذهاننا كل تلك الأفكار الغامضة التي تجعلنا محط اختلاف و تناقض بعدما كان العقل أعدل قسمة بين البشر، فالطبيعة اذن تقربا لتساوي لكن الأفكار الغامضة تجعلها محط تنوع و تباين

لذلك نجده قد دعا الى ضرورة الشك في تلك الافكار الغامضة وعدم الأخذ بها كأفكار إلا بعد تجليها أمام العقل كأفكار بديهية حيث نجده قد قدم مثالا في ذلك سلة التفاح اذا كان نصفها بالسلة عطب و النصف الأخر سليم فمن الأفضل القاء العطب منها و إدخال التفاح السليم و إرجاعه الى السلة كذلك الافكار فمن الأحسن طرد من الذهن كل ما يسبب القلق و الغموض و الابقاء على الافكار الواضحة بذاتها ، فبهذه الخطوة نهيئ و نصل بفكرنا الى السعي نحو اليقين الأول أو ما يمكن أن نطلق عليه يقين الكوجيتو و بالتالي فهذه المرحلة أوضحها كما يلي : الأول هو عدم تلقي أي معرفة على انها ثابتة و مطلقة، و هذا من الواضح أنني لا أعلمه على هذا النحو أي أن أتجنب بعناية التهور و الثقة بالمعارف و أن لا أقحم شيئا في أحكامي أكثر مما يبدو واضحا و مميزا جدا في ذهني و أنه لدي أي فرصة للتشكيك فيه .

الثانية: قاعدة التحليل: هي أن أقسم كل مشكلة أبحثها إلى اكثر ما يمكن من الأجزاء ليتسنى لي حلها بصورة أفضل، أي تقسيم الأفكار المركبة إلى أكبر جزء من القضايا الجزئية ليسهل فهمها و تناولها بيسر بواسطة العقل مثال عن ذلك: 25،15،10 هي سلسلة مركبة ، لكن عندما نقوم بتقسيمها نتحصل على ما يلى: 10 = 2×5 ،15 = 3×5 ، 25=5×5 و من ثم تقسيم المدركات الكلية الى وحدات جزئية يصبح التعامل معها سهل و واضح أمام العقل فعملية التحليل حسب ديكارت تستدعي افتراض الحدود المجهولة انطلاقا من الحدود المعلومة مثال ذلك البدء: من 12 ..... وصولا الى 6 إذن لابد من إدراك الحدود الوسطى المجهولة و من ثم نقسم كل مشكلة من المشكلات التي نبحثها بقدر ما نستطيع و بمقدار ما تستدعي الحاجة الى حلها على افضل وجه. فكانت هذه الخطوة التالية او التحليل هي خطوة مدعمة لفكر تبسيط الافكار , ليتنسى لنا ضبط مختلف الافكار الغامضة و المركبة فتبسيط المركب الى البسيط هو ما يجعلنا اكثر فعالية في التعامل مع المعاني و المفاهيم وقد استخدم المنهج التحليلي الذي يفترض مشكلة محلولة و يفحص نتائج الافتراض ومن ثم فالتحليل يعبر عن تأثر ديكارت الواضح بالمنهج الرياضي و الاستفادة منه في مجال الفلسفة و لا بد ان اراعي بعض الخطوات الهامة في المنهج التفكير مثل تقسيم المشكلة التي أواجهها الى أجزاء متعددة كي تزداد و ضوحا ينبغي ان أصل الى العناصر البسيطة للمشكلة و انتقل الى كيانها الى البسيط او من تصورها الكلي الى تصوراتها الجزئية و من ثم فهذه المرحلة هي التي تجعل الذات الباحثة و المفكرة عن حقائق تتضح و تظهر بجلاء بعد تعقدها و صعوبتها في اطارها الكلي.

الثالثة: قاعدة التركيب: هي عملية إعادة الاجزاء التي يتم تقسيمها بخطوة سابقة عنها حتى نستطيع الحصول على معلومات و قوانين نستطيع محورتها و الاستفادة منها فيما بعد في مجال المعرفة و العلم، و هذه الخطوة التي ألفنا وجودها في ميدان الرياضيات، خاصة و ان

هذه الأخيرة تحاول جميع العلوم بما فيها الفلسفة ان تواكب ما وصلت إليه ، لذلك نجدهم يتبعون مناهجها بغية الوصول إلى ذلك اليقين الذي حصلت عليه.

الرابعة: قاعدة الاستقراء التام او الاحصاء: هي عملية فحصية قائمة على استدراك و تتبع الخطوات و الأجزاء لتكون بذلك عملية التحليل أو التركيب عملية منطقية تكفل لنا الوصول إلى نتائج صادقة، كما في الرياضيات، فالانطلاق من بديهيات و مقدمات متعارف عليها يكفل الوصول إلى نتائج صحيحة، فالغرض من هذه الخطوة هو أنها عملية تكميلية للعلم و ذلك من خلال الاحاطة بكافة الخطوات السابقة للتأكد من اننا لم نغفل اي جزء او تفصيل أي القيام بعملية مراجعة كلية و شاملة. ما يمكن ملاحظته من خلال دراستنا للمنهج الديكارتي هو انه يقوم على مجموعة من الخطوات و المراحل الثابتة أراد من خلالها ديكارت بلوغ اليقين، فنجده بذلك قد قدم منهجا فلسفيا جديدا خادما لمجال المعرفة.

نقد و تقييم : إن قيمة الفلسفة الديكارتية تظهر في إبداع ديكارت منهجا فلسفيا جديدا و مغايرا تماما لما تم تأسيسه من قبل، فبعدما كان السؤال الفلسفي: ماذا نعرف؟ أصبح: كيف نعرف؟ و هو بهذا قد أسس منهجا عقليا أقرب إلى المناهج الاستنباطية الاستنتاجية، إلا أن هذا المنهج لا يتعلق بجميع العلوم، فهناك موضوعات ذات طبيعة مادية تستدعي المنهج الاستقرائي مثلا، إذن فمنهج ديكارت لا يتلاءم إلا مع نوع خاص من الموضوعات و لا يمكن تعميمه. لذلك تعددت المناهج و اختلفت حسب طبيعة الموضوعات التي تدرسها.